

رمضان.. مدرسة الثلاثين يوماً



«أنت فيها المدرس والتلميذ.. الدراسة يومية والإمتحان نهاية الشهر والمقررات: صوم.. قرآن.. جود وقيام بما أن عمل مدرسة الصيام يقوم أساساً على الإمتناع عن الطعام والشراب فإنّ هذا الإمتناع والترك - كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي - إن بدا سلبياً في مظهره فهو عمل إيجابي في حقيقته وروحه، إذ هو كف النفس عما يشتهي المرء ﷻ تعالى، فهو بهذا عمل نفسي إرادي، له ثقله في ميزان الحق، والخير، والقبول عند ﷻ. (العبادة في الإسلام). المواد الدراسية التي تدرسها المدرسة: المادة الأولى: الصوم: وقد بدأ تدريس هذه المادة في مدرسة الثلاثين يوماً في العام الثاني للهجرة، ولهذه المادة خصوصية كونها تنسب إلى ﷻ تعالى، جاء في الحديث القدسي الذي يرويه النبي (ص) عن رب العزة: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به". والهدف من وراء تدريس هذه المادة، أن يتحرر الإنسان من سلطان غرائزه، وينطلق من سجن جسده، ويتغلب على نزعات شهوته، ويتحكم في مظاهر حيوانيته، ويتشبه بالملائكة. - مراتب الصوم: الصيام على ثلاث مراتب كما قسمها أبو حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" كما يلي: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص: أما صوم العموم، فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، أما صوم الخصوص، فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وهو صيام الصالحين، ويتم بثلاثة أمور: أ- غض البصر وكفه عن كل ما يشغل القلب، ويلهي عن ذكر ﷻ عز وجل. ب- حفظ اللسان: عن الكذب والغيبة والنميمة والخصومة والمراء. عن مجاهد قال: خصلتان تفسدان

الصيام: الغيبة والكذب، ونُذِكَّر بحديث النبي (ص): "إنما الصوم جُنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم. إني صائم" (متفق عليه). ج- كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حُرِّم قوله حُرِّم الإصغاء إليه، وليعلم طلاب مدرسة الثلاثين يوماً أن من يذاكر ويجتهد في هذه المادة فقد أعدَّ إِبْرَاهِيمَ عزَّ وجلَّ له ما أخبر به رسول الله (ص) عندما قال: "للجنة باب يُقال له الريان، لا يدخله إلا الصائمون" (متفق عليه). وقال أيضاً: "للمائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه" (رواه مسلم). ثمَّ إنَّ الإجتهد في المادة يكون سبباً في قهر عدو الله إبليس، لأن وسيلة إبليس إحياء الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب. صوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عزَّ وجلَّ بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عزَّ وجلَّ واليوم الآخر، وبالفكر في الدنيا إلا دُنْيَا تُرَاد للدين، فإن ذلك من زاد الآخرة، وليس من الدنيا، هذه رتبة الأنبياء، والصديقين، والمقرَّبين. المادة الثانية: تلاوة القرآن الكريم: لهذه المادة علاقة وثيقة بالمادة الأولى، فالقرآن الكريم نَزَلَ في شهر رمضان، قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة/ 185). وعلى دارس هذه المادة أن يأخذ القدوة والمثل من السلف الصالح في تلاوته للقرآن الكريم، فقد كان بعض السلف يختم القرآن في رمضان كل ثلاث ليال وبعضهم في كل سبع منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر منهم أبو رجاء العطاردي. قال ابن عبدالحكم: إن مالكا كان إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. ولدارس هذه المادة والحافظ لها سمات يحسن أن يتحلَّى بها، أوضحها ابن مسعود عندما قال: "ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليته إذ الناس نائمون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يحتالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون". وقال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه، يشير إلى سهره وطول تهجده. وأنشد ذو النون: منع القرآن بوعده ووعيده **** مقل العيون بليتها لا تهجع فهموا عن الملك العظيم كلامه **** فهما تذل له الرقاب وتخضع والذي يحافظ على قراءة القرآن الكريم ويجعل لنفسه ورداً يومياً، فقد بشَّره الرسول (ص) عندما قال: اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي شافعياً لأصحابه يوم القيامة" (رواه مسلم). فإذا تعلمت هذه المادة وقمت بعد ذلك بتعليمها فأنت من خيار أمة الإسلام، مصداقاً لحديث رسول الله (ص): "خيركم من تعلَّم القرآن وعلاَّمه". واحذر أخي - فإن من كان معه القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنهار فإنَّه ينتصب خصماً له يطالبه بحقوقه التي ضيعها. أما إذا نجحت في المادتين الأولى والثانية معاً، فأليك هذه البشارة: عند عبداً بن عمرو عن النبي (ص) قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته

الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن منعه النوم بالليل فشفتني فيه، فيشفعان" (رواه أحمد والطبراني). المادة الثالثة: قيام الليل: كفى دارس هذه المادة فخراً أن يعلم أن قيام الليل "هو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم فيشكون إليه أحوالهم ويسألونه من فضله، فنفسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات. وكما قلنا، فإن هناك رابطاً يربط بين الصيام والقرآن، وهناك أيضاً رابط بين قيام الليل والقرآن. قيام الليل في القرآن: قال تعالى: (تَتَذَكَّرَ فِي جُودٍ وَيُهِمُّ عَنِ الْمَصَاجِرِ) (السجدة / 16)، قال مجاهد والحسن: يعني قيام الليل. وقال ابن كثير في تفسيره: يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والإضطجاع على الفرش الوطيئة. وقال عبدالحق الإشبيلي: "أي تنبو جنوبهم عن الفرش فلا تستقر عليها ولا تثبت فيها لخوف الوعيد، ورجاء الموعد". فأين رجال الليل؟ يا رجال الليل جدو رب داع لا يرد وإذا كنت تريد الحصول على الدرجات العلا في هذه المادة، فعليك بتنفيذ هذه النصائح: ذكر أبو حامد الغزالي أسباباً ظاهرة وأخرى باطنة ميسرة لقيام الليل: فأما الأسباب الظاهرة فأربعة أمور: 1-

- 2- فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام.
- 3- فائدة فيه.
- 4- ألا يترك القيلولة بالنهار فإنها تعين على القيام.
- 1- سلامة القلب من الحقد على المسلمين، وعن البدع وفضول الدنيا.
- 2- خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.
- 3- أن يعرف فضل قيام الليل.
- 4- الحب لله وقوة الإيمان بأن الله في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه. المادة الرابعة: الجود والكرم: ربما يسأل بعض المنتسبين لمدرسة الثلاثين يوماً: ما علاقة الكرم والجود بهذه المدرسة؟ والإجابة أن الصوم - في حقيقته - إنما جاء ليشعر الأغنياء بحاجة الفقراء، ولذا فعندما يعاني الغني الجوع والعطش في نهار رمضان يزداد شعوره وإحساسه بالفقر فيدفعه ذلك إلى الكرم والجود، ثم إن الله تعالى يوصفُ بالجود، وفي الأثر المشهور عن فضيل بن عياض قال: إن الله تعالى يقول كل ليلة: "أنا الجواد ومنِّي الجود، أنا الكريم ومنِّي الكرم"، فإن سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان الذي فيه أنزل قوله تعالى: (وَإِذْ إِسْرَأْكَ عَبْدًا دِي عَنِّي فَإِنَّ نَبِيَّ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَانِ) (البقرة / 186). وقال بعض الشعراء يمتدح بعض الأجوار، عندما رأى فيض كرمه وعطائه: تعود بسط الكف حتى لو أنزّه **** ثناها لقبض لم تُجبه أنامله تراه إذا ما جئته متهللاً **** كأنك تعطيه الذي أنت سائله هو البحر في أي النواحي أتيته ****

فلجته المعروف والجود ساحله ولو لم يكن في كفه غير روحه **** لجاد بها فليتنق ا

سائله ►